

فاطِمَةُ بنتُ الخطّاب رَضِيَ اللهُ عَنها

نجلاء شوقى حسن

## فاطمة بنت الخطّاب

هى فاطمة بنت الخطّاب بن نُفيل ، أحلهِ كبارِ وأشراف بنى مَخزومٍ فى قُريس . نشأت فاطمة بين أهلِها وعَشيرتِها ، وتحلّت بالفَضائلِ العَربيَّة ، إلى جانبِ القُوقِ فى تكوين شخصيتِها .

بَلغت فاطمة واكتمل شبابُها ، خَطبَها قَريبٌ لها اسمُهُ سَعيدُ بنُ زَيدِ بنِ عَمرو ، ومن ثَمَّ اقترَنَ بِها واتَّخذا لهما بَيتًا في قُريش ، وكانت في حَياتِها سَعيدة هانِئة . ذات يَوم النّقى سَعيدٌ بصديقه خَبّاب بن الأَرَت ، وكانت بينهما صداقة وثيقة حميمة . وكان خَبّاب \_ رضي الله عنه \_ من المبشرين بالجنّة ، الذين حَملوا الدّعوة إلى الله ، ومن الله الذين وكل إليهم رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ أمر الإسلام ، بعد أن فقهوه وانطبعوا به في بداية الدّعوة .

أخبر خَبّاب صَديقًه سَعيدا بِاسْلامِه، وحدَّثَه عَن الدّينِ اللّذي يَدعو إليه مُحمَّدٌ فأقنَعَه. فأقنَعَه.

وذهب سَعيد إلى رَسولِ الله \_ صلّى الله عليه وسلّم \_ فأسلم بَين يَدَيه ، وقال : أشهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّدًا رَسولُ الله .

فلمًّا عادَ سَعِيدٌ إلى البَيْت ، أخبرَ زَوجَتُه بما جَرَى وما أقدمَ عليه ، وأخبرَها في سُرورِ عن لِقائهِ برَسولِ الله ، وما شَعرَ به سَعيدٌ في هَذا اللَّقاء ، فقالَت له فاطِمة في شَوْق : وإلَى ماذا يَدعو دينُ مُحمَّد ؟

فَأَخَذَ يَشْرَحُ لَهَا بَعْضَ مَا سَمِعَهُ مَـن رَسُولِ اللّه ــ صَلّى اللّه عليه وسلّم ــ الّـذى جاءَ بنُور الحقُّ ليُبَدُّدَ ظلامَ الجاهِلِيَّة .

كانت فاطِمةُ بنتُ الخَطَّابِ تَسمَعُ زَوجَها سَعيدا ، وتَطلُبُ منه أن يُخبرَها بالمَزيدِ في شُوْق ، وهمى تُصغى إليه بكُلُّ جَوارِحِها ، وتفكَّرُ بعَقلِها في كلِّ ما يُقال .

أرادت فاطِمة بنت الخطاب أن تَرَى رَسولَ الله \_ صلّى الله عليه وسلّم \_ فطلبت من والله عليه وسلّم \_ فطلبت من وَوجها سَعيد أن يَأْخُذَها إليه ، فأخذَها سَعيد .. وعند رَسولِ اللهِ أسلَمت فاطِمة ، وشهدت بالشّهادَتين ، ودخل نور الحق قليها ..

وكان من يُسلِمْ من النّاسِ في ذلك الوقت، ويَتْبِعْ دينَ مُحمَّد، يَحرِص على الآ يَحرِص على الآ يَشيعَ خبرُ إسْلامِه، خوفًا من المُشركينَ يَشيعَ خبرُ إسْلامِه، خوفًا من المُشركينَ

وَبَطْشِهِم ، وَكَانُ بِينَ المُشْرِكِينَ عَمْرُ بِسِنُ الْحَطَّابِ ، شَقِيقُ فَاطِمَة ، وَكَانَ مَعْرُوفًا بِقُوْتِهِ وَبَطْشِهِ ، وَسُرِعَةٍ غَضَبِه .

ذات يَوم ، رأى عُمرُ أَنْ لا بُـدُّ من حَسم الأمر بقَتل مُحمَّد \_ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم \_ فإنَّه لَمْ تُجدِ الإِجتِماعاتُ ولا المُشـوراتُ في بُطونِ قُريْتُ يَومًا بعدَ يَوم ، فرأَى حتمِيَّةً الحَـلُّ العَملِــيّ . وضَـرورَةُ حَسْمِ المُوقِــف تَقتَضي القتلَ ولا شيءَ غيرَه ، فخرجَ عُمر مُتوشِّحًا بِسَيفِه ، يُريدُ رَسولَ الله ـــ صلّى الله عليه وسلّم ـ ورهطًا من أصْحابه ، ذُكِرَ له أنَّهم اجْتَمعوا بدارِ الأرْقَم عِندَ الصَّفا.

وفيما هو في طَريقِه ، لقِيَه نَعيمُ بنُ عبدِ اللهِ فسألَه :

- أينَ تُريدُ يا عُمَر ، وأراكَ غاضِبًا ثائرا ؟ قالَ عُمر : أريدُ مُحمَّدًا هذا الصّابئ الله الدى فرَّقَ أمرَ قُريش ، وسفَّة أحلامَها ، وعاب دينها وسَبَّ آلِهَتَها .. فأقتُلَه .

قال نعيم: والله قد غرتك نفسك من نفسك من نفسك يا عُمر .. أترى بنى هاشم تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت مُحمَّدًا ؟ أفلا ترجعُ إلى أهل بَيتِك فتقيم أمرَهُم ؟ قال عُمرُ في دَهشَة: وأيُّ أهل بَيتى ؟ قال عُمرُ في دَهشَة: وأيُّ أهل بَيتى ؟ قال عَمرُ في دَهشَة: وأيُّ أهل بَيتى ؟ قال نعيم: ابنُ عَمِّك زَوجُ أُختِك سَعيد، قال نعيم: ابنُ عَمِّك زَوجُ أُختِك سَعيد،

وفاطمَةُ أُختُك ، فقد واللَّه أَسْلَما وتابَعا مُحمَّدًا على دينِه .. فعليكَ بهما .

قَالَ عمر : أَوَقَدُ فَعلا ذلك ؟ لَئن فَعلا لأَقْتُلَنَّهما .

ثم مضى مُسرعًا نَحو بَيتِ أُختِهِ فَاطِمَة ، وقبلَ أَنْ يَطرُقَ بابَ البَيت ، سَمِع أَصُواتًا تُردِّدُ كَلِماتٍ يَسمَعُها مِن قَبل .

كان خُبّابُ بنُ الأرّت - رضِيَ الله عنه -في ذَلكَ الوَقتِ عندَ سَعيدٍ وفاطِمَة ، ومعه صَحيفةً يُقرئهُما فيها سورَةَ « طه » .

طرقَ عمرُ البابَ وهو يُنادى على أُختِه. فلمّا سَمِعوا صوتَ عُمر ، اختَفَى الْخَبّابُ في مَخدَعٍ لَهم ، وأخفت فاطِمةُ الصَّحيفةَ من فَورِها ، ثـمَّ أسـرَعتْ تَفتـحُ بـابَ البَيـتِ لأَخيها .

فلمًا دخلَ عُمرُ على أُختِهِ وزَوجِها سَعيد ، سألهُما عن تِلكَ الكَلِمَاتِ الَّتِي يَتبَيَّنُها جيّدا ..

فقالا له: ما سَمِعنا شَيئا ..

قَالَ عُمر : إنَّكما تَكذِبان ، فقد أُخبِرتُ أنَّكما تابَعتُما مُحمَّدًا في دينِه .

وهجم عمر على صهره سَعيد وصَفَعَه وألقاه على الأرض ، فجُرِحَ وَجَرَت دِماؤه . فقامت فاطِمة لتدافِعَ عن زَوجِها ، وتقِفَ حائِلًا بينَه وبينَ عُمَـرَ الغـاضِبِ تَمنَعُـه ، فضرَبُها وجرت دِماؤها هي الأُخرَى .

قالاً له في تَحدُّ وقُوَّة : نعم لقدُّ أَسْلَمنا وآمَنَا باللَّهِ وبمُحمَّدٍ رَسولِه ، فاصنَع ما بَـدا لك .

وقف عُمرُ حائِرا وهو يَرى منظَرَ الدِّماءِ تسيلُ من فاطِمةً وسَعيد ، وصمودَهما أمامَه ، واعْتِرافَهُما دونَ خَوفٍ أو خَشيةٍ باتباعِهما دينَ مُحمَّد . أثرَ هذا الموقِفُ في عُمر ، ونَدِمَ لتسرُّعِه ، فقالَ لأُختِهِ فاطِمَة : أعطينى هذه الصَّحيفة التي تَقرَءون ، أنظرُ ما هذا الَّذي جاءَ به مُحمَّد .

قالت فاطِمة : إنّا بَحشَى عليها مِنك أن تُمزِّقَها .

قالَ عُمر : لا تَخافي يا فاطِمة .

ووعدُها أن يَردُّها إليها .

قالتُ له : ولكنَّ هـذا القُرآنَ لا يَمسُـه إلاَّ اللَّطهَّرون .

فقامَ عمرُ فاغتسل بالماء ، فأعطّته فاطِمةُ الصّحيفة فقرأه .

قرأ غُمرُ القُرآن ونَمعَّن في كلِماتِهِ جَيِّــدا ، ثمَّ قال : ما أجملَ هذا الكلامَ وأكرَمــه . إنَّــه كلاَمٌ لا يَأتي من بشر . فعندما سَمِعَه خَبّاب ، خرجَ من مَخبَه الله عُمر : يا عُمر : الله من الله أن يكون قد خصّك إنى لأرجو من الله أن يكون قد خصّك بدَعوَة نبيه ، فإنى سَمِعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هِشام ، أو بعُمر بن الخطّاب . فالله الله يا عُمَر .

قَالَ عُمر : دُلَّني يا خَبّابُ على مُحمَّد ، حتَّى آتيهِ فأسلِم .

وصدق عمر وأسلم بين يَدى رَسولِ الله - صلّى الله عليه وسلّم - وكان إسلامُهُ كما قال عَنه رَسولُ الله - صلّى اللّه عليه وسلّم - فتحا . والحديثُ يَطولُ عن إسْلام عُمــر ــــ رضِــيَ الله عنه \_ ولكن لا نُنسَى دور فاطمة بنت الخَطَّابِ \_ رضِيَ اللَّه عَنها \_ ومَوقِفَها الإيمانيُّ القُويِّ ، وتُصدِّيها لأخيها عُمَرَ بن الخَطَّابِ ، الَّذِي كَانَ لِهُ الأَثْرُ الأَوَّلِ ، فتلاشَى جَبرَوتُه وكِبرياؤه ، واهـتَزَّت ثِقَتُــه بُمُعتَقداتِه ، أمامَ صَلابَةٍ مَوقِفِها وإيمانِها وإسالامها .

وكانت فاطِمةً من المؤمناتِ المسلِماتِ الأوائل - رضِى الله عنها ، وتَحمَّلت هى وزَوجها قسوة العيش والمعاناة التى أصابتِ المسلِمين ، من كفّارِ قُريش ، وهاجَرت مع

المهاجرين إلى الحَبشة ، ثمَّ عادت وزَوجُها إلى الله المُدينَة ، وكانتُ في اسْتِقبالِ رَسولِ الله حليه وسلم \_ مع المُهاجرين والأنصار ، عند قُدومِهِ إلى المَدينَة .

وكانت فاطمة بنت الخَطّاب \_ رضيي الله عنها \_ تَحضُرُ مجالِسَ العِلم والفِقه ، وتُستَمع إلى أحاديثِ رَسول اللَّـه ــ صلَّى اللَّـه عليـه وسلّم ـ فروت بعض الحديثِ عن رَسول اللَّه ــ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ــ وكانت الزُّوجةَ المؤمِنَةَ الصَّابرَة ، حين اسْتُشهدَ زَوجُها سعيدُ بن رُيدٍ في سَبيل اللَّه ، في إحدَى مَعارِكِ الْمسلِمين.

وعاشت حياتها عابدة شاكِرة ، ناصِحَـةُ ساعِيةُ للخَير ــ رضِيَ الله عَنها ــ .